# ٧

## أنا .. وياسر عرفات!!

لقد أحببت (ياسر عرفات).. ولا أنكر أنه في بعض المرات كنت أختلف معه بشدة وبوضوح.. لكننى التقيته في آخر لحظة في حياته.. وفي كل الأحوال هذا الرجل أعطى للقضية الفلسطينية وجهاً وملامح وصوتاً للتعبير في وقت كانت تحتاجه بقوة.

وكانت له أخطاؤه.. عندما تطور وزادنى حيرة.. ولقد قدرتهُ كثيراً بقدر ما استطعت.. لكنه حيرنى بمعنى أننى قدمته لـ(جمال عبد الناصر).. ورأيتهُ كيف يتحدث مع (جمال عبد الناصر).. وبعدها بفترة قدمتهُ في موسكو بطلب من (جمال عبد الناصر) لرئيس الوزراء السوفييتى (كوسيجن).. وكان يعتقد في البداية أنه من الوفد المصرى..

ولما عرف من هو قال لى (كوسيجين) أن هؤلاء أناس من المغامرين.. والاتحاد السوفييتى يتردد قبل صنع أية علاقة معهم.. وعلى أى حال صافح "(كوسيجين) ياسر (عرفات)" ونشأت علاقة ل(عرفات) مع الاتحاد السوفييتى.

وبعد سنة واحدة قال لى (كوسيجين) بنفسه هل صحيح أن (ياسر عرفات) أقوى رجل في العالم العربى؟ وقال لى أنه قال ذلك على نفسه وأنه قال لمازروف[1] هذا الكلام.. وكنا قد قدمناه لمازروف وقال له أنه أقوى رجل في العالم العربى لسبب واحد هو أن قضية فلسطين تجعل له حزباً في كل عاصمة عربية.. وهو يستطيع أن يحرك هذه الأحزاب حين يشاء.. بينما أى زعيم عربى يستطيع أن يتحكم فقط في عاصمة بلده.. أوعاصمة أو اثنين آخرين.. لكن (ياسر عرفات)يستطيع أن يفجر الموقف في كل العواصم العربية.. وقد استغربت عندما قال لى (كوسيجين) ذلك.. ولكننى لم أعلق.. لأنه عندما تقول إنك أقوى من أى زعيم عربى في ذلك الوقت هذا خطأ لأنك موجود في منفي بعيداً عن بلدك.. وتعادى كل الدول.. بالإضافة إلى كون هذا ليس صحيحاً.

## بين (عرفات) و(الملك حسين)

أتذكر مشهداً آخر مع (الملك حسين) وكان في قمة خلافاته مع ياسر (عرفات).. واضطر تحت ضغط القمة العربية أن يُسلم عليه ويظهروا كما لو كانا أصدقاء.. وبعد ذلك أشدت بالصورة وكنت وقتها وزيراً للإعلام أمام الملك مع الرئيس ساهى الأدغم الذي كان رئيساً للجنة التى أنشأتها القمة العربية لمتابعة العلاقة بين الملك والمقاومة الفلسطينية.. وأنا عضو فيها كوزير إعلام مصرى وكنت أمثل الناحية السياسية.. ومعى الفريق (محمد أحمد صادق) الذي كان يمثل الناحية العسكرية.. وعندما قلت للملك أنه شيء جميل أن تسلم على (ياسر عرفات)فرد قائلاً:

**ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدو له ما من صداقة بد**[2]

وفي مرة ثالثة مع الرئيس صدام حسين في بغداد دخلت عنده مع السيد (طارق عزيز) رئيس الخارجية العراقى في ذلك الوقت.. ووجدت عنده (ياسر عرفات) لكنه كان انتهى من الموعد وخارج.. فقلت لصدام : إن شاء الله خير.. وكان لدى صدام طريقة خاصةً في الكلام.. ورد عليَّ بقوله:

---

(١) كان مازروف وقتها في المكتب السياسى السوفييتى مسئول عن حركات التحرير الوطنى.

(٢) بيت شعر معروف للمتنبى.

- يا أبوعلى هؤلاء أناس أصغر من قضيتهم.. وقال لى أنه ستثبت الأيام صحة كلامه.

**أوسلو أكبر أخطاءه**

وأنا أعتبر أن أكبر خطأ لـ(ياسر عرفات)على الإطلاق هو قبوله توقيع اتفاقية أوسلو[1] وهى اتفاقية تؤجل القوائم الرئيسية لشعب فلسطين والقضية الفلسطينية وهى المستوطنات والقدس والحدود وحق العودة بالنسبة للاجئين ومعنى تأجيل هذه القضايا يعنى أنه القضية الفلسطينية كلها رحلت إلى مستقبل نحن لا نعرف موازين القوة فيه كيف تكون.

وفى ذلك الوقت كنت قد ألقيت محاضرة بالجامعة الأمريكية فى القاهرة وقلت: أريحا وغزة أولاً وأخيراً.. فغضب منى وجاء لى فى زيارة له للقاهرة فى مكتبى فقلت له إننى قلت فى المحاضرة ما أعتقده وأنا أخشى أنك لن تأخذ شيئاً.. وحكى لى ماذا تم قبل أوسلو وما بعدها.. وحكى لى أن (الملك الحسن) ملك المغرب سوف يتعامل مع أناس يستطيعون تحويل قاطع الطريق إلى إبليس فى ٢٤ ساعة بالآلة الإعلامية المهولة والموجودة عندهم.

---

(١) اتفاقية أو معاهدة أوسلو هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى مدينة واشنطن الأمريكية فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية عام ١٩٩١ أفرزت هذا الاتفاق فى ما عرف بمؤتمر مدريد.. وتعتبر اتفاقية أوسلو.. التي هى أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شميون بيريز.. ومنظمة التحرير الفلسطينية.. ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس.. ورغم أن التفاوض بشأن الاتفاقية تم فى أوسلو.. إلا أن التوقيع تم فى واشنطن.. بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية).. ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني.. فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. لفترة انتقالية لاتمامها فى أقرب وقت ممكن.. بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.. ونصت الاتفاقية.. على أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية.. بما فيها القدس.. اللاجئون.. المستوطنات.. الترتيبات الأمنية.. الحدود.. العلاقات والتعاون مع جيران آخرين.. ولحفظ الأمن فى الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية.. نصت الاتفاقية على إنشاء قوة شرطة فلسطينية قوية.. من أجل ضمان النظام العام فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. بينما تستمر إسرائيل فى الاضطلاع بمسؤولية الدفاع ضد التهديدات الخارجية.. فى إسرائيل نشأ نقاش قوي بخصوص الاتفاقية؛ فاليسار الإسرائيلي دعمها.. بينما عارضها اليمين. وبعد يومين من النقاش فى الكنيست حول موضوع الاتفاقية وتبادل الرسائل.. تم التصويت على الثقة فى ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ حيث وافق ٦١ عضو كنيست وعارض ٥٠ آخرون.. وامتنع ٨ عن التصويت..الردود الفلسطينية كانت منقسمة أيضاً. ففتح التي مثلت الفلسطينيين فى المفاوضات قبلت بإعلان المبادئ.. بينما اعترض عليها كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (المنظمات المعارضة) لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود فى فلسطين.. على كلا الجانبين كان هناك تخوفات من نوايا الطرف الآخر. وفهموا تلك المقولات على أنها محاولة لتبرير توقيع الاتفاقية بالتوافق مع التاريخ الديني.. مع اتفاقيات مرحلية للوصول إلى الهدف النهائي. ومن أشهر معارضي الاتفاق محمود درويش وإدوارد سعيد.

وأنا أقول أن (ياسر عرفات)لم يكن قاطعاً للطريق.. بل كان رجلاً مقاوماً يقود ثورة.. ولكن استهواه أن يتحول لنجم في الإعلام العالمى.. وهذا استمر لأيام قليلة جداً ثم انطفت الأنوار كلها.. وجاءت أوهام كثيرة.

**أشياء غريبة**

كنت أذهب لقصر الأندلس لكى أراه وقد طرأت على هذا الرجل الثائر أشياء غريبة جداً بالمصادفة.. وأشياء كنت أخاف عليه منها.. وقد كنت أعتقد أن قصر الأندلس الذي كان ينزل فيه بمصر الجديدة ليس لائقاً بوظائفه.. فذات مرة قال لى أنه لا يوجد شيء للإفطار.. وأن الموجود جبن وزيتون فقط.. وإنه كان عنده أسامة الباز قبل حضورى بيوم.. ونزل الباز فندقاً قريباً واشترى طبق فول.. وأشياء أخرى.. فقلت له أن هذا لا يهمك فأنت رجل ثائر فقال لى وأنا رئيس دولة أيضاً.

أريد القول أن هناك ما يطرأ على الثوار عندما يأتى موضوع السلطة والثورة قبل الآوان ووهم الدولة.. ووهم الحكم والسلطة.. وحتى على الثوار يريدون أشياء ليس لها لزوم في اعتقادى.. لأنه لما كان (عرفات) يذهب ليدخل فلسطين أول مرة ترجيته بألا يدخل فلسطين بعد اتفاقية أوسلو.. فإنه إذا دخل فلسطين سيصبح أسيراً في فلسطين وسيبقى رهينةً عندهم.. فقال لى غريبة أن رأيك يخالف رأى كل الزعماء العرب.. فقلت له أتريد رأيى بصراحة فقال لى نعم فقلت له يريدون أن يخلصوا منك.. وطلبت منهم أن يظل خارجاً.. ويطلب إدراة فلسطينية تدير من الداخل من المناطق التى تزعم إسرائيل أنها ستعطيها لكم.. لكنه كان متعجلاً جداً.. واستُقبلَ في غزة استقبالاً هائلاً.

ولما حدثنى بعدها بيومين ليعرف رأيي في الاستقبال.. قلت له أنه كان هائلاً لكن لم يعجبنى حرس الشرف.. فقال لى أنت لا تريد أن تتقبل أننى رئيس دولة.

واعتقد أن (ياسر عرفات) تعرض لعمليات نصب صريحة.. ففي يوم من الأيام دخل وقال لى أنه معه الدليل الحاسم الذي يدين (الملك حسين) والحكومة الأردنية.. وأعطانى ملفاً من ٣٠ أو ٣٥ وثيقة.. وعندما نظرت للملف فقلت له وهو في مكتبى إنها مزورة.. ولا يمكن أن يتم تسجيل العلاقة بين الأردن وإسرائيل بأوراق رسمية.. وليس بهذه الفجاجة.. فقال لى: أنه ليس مزوراً وأنهم دفعوا فيه ٣٠٠ ألف جنيه إسترلينى.. فقلت له وهذه الوثائق أمامى أنا أثق أنها مزورة.. وبالتالى أنا أمام رجل أمانيه تسبق قدراته.. وطموحه يسبق وسائله.. وهو يشعر أن هذا ملف القضية.

احتفظ أبوعمار لنفسه بقضايا مهمة للغاية.. فاحتفظ بالمال.. والسلاح والإعلام.. وبالتالى أصبحت هناك تناقضات لا تتحملها الثورة الفلسطينية في هذه اللحظات.. لكن يبقى دائماً رجل عزيز علينا.. وذكراه لا تزال عزيزة أيضاً.

❖❖❖